حَيَاةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

عَامُ الحُزْنِ



سفير

حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

عَامُ الحُزْنِ

كتبها
سلامة محمد سلامة

رسوم
عبد المرضى عبيد

رقم الإيداع ٢٠٠٦٧ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 361 - 197 - 3

جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد



عَامُ الحُزْنِ

تَوَالَتِ المِحَنُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ انْتِهَاءِ مُقَاطَعَةِ قُرَيْشٍ لِبَنِى هَاشِمٍ وَبَنِى عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَدْ مَرِضَ عَمُّه «أَبُو طَالِبٍ» مَرَضًا شَدِيدًا، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَكَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَتَمَنَّى أَنْ يُسْلِمَ عَمُّه قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، لَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ هِدَايَتَهُ فَمَاتَ عَلَى دِينِ آبَائِهِ، فَحَزِنَ النَّبِىُّ لِمَوْتِهِ حُزْنًا شَدِيدًا، إِذْ أَنَّهُ فَقَدَ عَزِيزًا غَالِيًا كَانَ يَقِفُ إِلَى جِوَارِهِ وَيَشُدُّ مِنْ أَزْرِهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ.





وبَعْدَ وَفَاةِ «أَبِى طَالِب» بِقَلِيلٍ تُوُفِّيتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ «خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلد» أَوَّلُ المُؤْمِنِينَ بِدَعْوَةِ النَّبِىِّ ﷺ ، فَأَصَابَ النَّبِىَّ بِفِرَاقِهَا هَمٌّ عَظِيمٌ وَحُزْنٌ عَمِيقٌ، فَقَدْ كَانَتْ -رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا- نِعْمَ الزَّوْجَةُ المُخْلِصَةُ الوَفِيَّةُ الَّتِى أَحَاطَتْ زَوْجَهَا بِصِدْقِ عَاطِفَتِهَا، وَحُسْنِ رِعَايَتِهَا، مِمَّا هَوَّنَ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ المَصَائِبِ وَالمِحَنِ، وَقَدْ سَمَّى النَّبِىُّ ﷺ هَذَا العَامَ بِعَامِ الحُزْنِ.



الذَهَابُ إلَى الطَّائِفِ

اشْتَدَّ إيذاءُ كُفَّارِ قُرَيشٍ للنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّه «أَبِي طَالِب»، فَتَوَجَّه النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِف، وَمَعَهُ مَوْلاهُ «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ» لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنْ أَهْلِهَا وَيَنْصُرُه، لكنَّهم لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِه ﷺ، بَلِ اسْتَهْزَءُوا بِه وآذَوْهُ أَشَدَّ الإيذاءِ ودَفَعُوا صِبْيَانَهم وَسُفَهَاءَهُم وَعَبِيدَهم، يَشْتُمُونَهُ ويَضْرِبُونَهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى جُرِحَتْ قَدَمَاهُ الشَّرِيفَتَانِ، وَشُجَّ رَأْسُ «زَيْدٍ» وَهُوَ يُدَافِعُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

لَجَأَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَى بُسْتَانٍ خَارِجَ الطَّائِفِ لِيَحْتَمِىَ بِهِ، وَبَعْدَ أن اسْتَرَاحَ قَلِيلاً، أَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى «مَكَّةَ» مَهْمُومًا حَزِينًا مُثْقَلاً بِالجِراحِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ «جبْرِيلَ» – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَمَعَهُ مَلَكُ الجِبَالِ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الأَمْرَ بِأَنْ يُطْبِقَ عَلَى مَكَّةَ جِبَالَهَا، لَكِنَّ النَّبِىَّ ﷺ قالَ لَهُ فِى سَمَاحَةٍ وعَفْوٍ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».



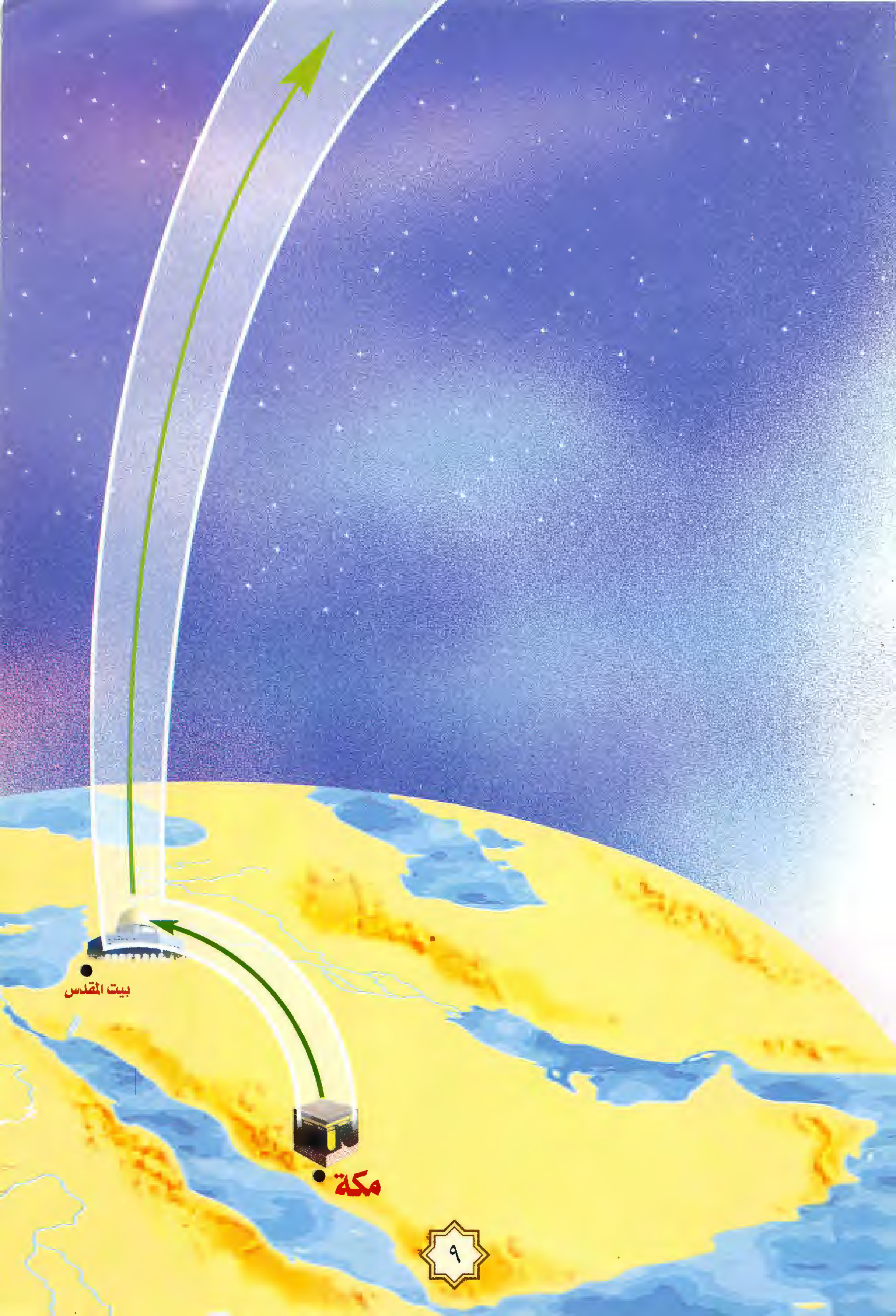


وَلَمَّا اقْتَرَبَ النَّبِىُّ ﷺ مِنْ «مَكَّةَ» أَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ يَطْلُبُ دُخُولَ «مَكَّةَ» فِى حِمَايَتِهِم، لَكِنَّهُم رَفَضُوا طَلَبَهُ فِى غِلْظَةٍ وَشَمَاتَةٍ إِلاَّ «الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِىٍّ» الَّذِى خَرَجَ بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَمَعَهُم سِلاَحُهم لِيُعْلِنَ حِمَايَتَهُ لِلنَّبِىِّ ﷺ، فَدَخَلَ النَّبِىُّ مَكَّةَ فِى حِمَايَتِهِ وَطَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ دُونَ أَنْ يَنَالَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ.

الإِسْرَاءُ والمِعْرَاجُ

أَرَادَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يُرَوِّحَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ وَيُذْهِبَ عَنْ قَلْبِهِ الهَمَّ وَالحَزَنَ بَعْدَمَا لاَقَاهُ مِنْ سُفَهَاءِ الطَّائِفِ وَغَيْرِهِم مِنَ القَبَائِلِ الَّتِى رَفَضَتْ دَعْوَتَهُ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - وَأَسْرَى بِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ فِى صُحْبَةِ «جِبْرِيلَ» - عَلَيْهِ السَّلامُ - إِلَى السَّمَاوَاتِ العُلاَ .

رَأَى النَّبِىُّ ﷺ فِى هَذِهِ الرِّحْلَةِ العَظِيمَةِ كَثِيراً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الكُبْرَى، كَدُخُولِهِ الجَنَّةَ، واطِّلاَعِهِ على النَّارِ، وكَلامِهِ مَعَ المَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ، وَمُقَابَلَتِهِ للأنبيَاءِ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَفِى خِتَامِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبَارَكَةِ عَادَ النَّبِىُّ إِلَى مَكَّةَ فِى اللَّيْلَةِ نَفْسِها، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَا رَآه فَكَذَّبُوه وسَخِرُوا مِنْهُ، وسَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَ لَهُمُ المَسْجِدَ الأَقْصَى إِنْ كَانَ صَادِقًا، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَوَصَفَهُ النَّبِىُّ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ جُزْءًا جُزْءًا .


بيت المقدس
مكة

كَمَا أخْبَرَهُم النَّبِىُّ ﷺ عَنْ قَافِلَة تِجَارِيَّة لَهُمْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَها، وَحَدَّد اليَوْمَ الذِى سَتَصِلُ فِيه، فَوَصَلَتْ فِى مَوْعِدِها كَمَا أخْبَرَ النَّبِىُّ ﷺ، لَكنَّهم عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الآيَاتِ والمُعْجِزَات، تَمَادَوا فِى تَكْذِيبِهِم وَعِنَادِهِم، وَذَهَبُوا إلَى «أَبِى بَكْرٍ» لِيُخْبِرُوه بِمَا يَقُولُه النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُمَ «أَبُو بَكْرٍ»:

«وَاللَّهِ لئِنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ» فَسُمِّى مُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ بِالصِّدِّيقِ.



الإسْلَامُ فِى يَثْرِبَ

خَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ فِى مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَة مِنَ النُّبُوَّةِ يَدْعُو القَبَائِلَ القَادِمَةَ إِلَى مَكَّةَ إِلَى الإِسْلَامِ، فَالْتَقَى فِى مِنىً عِنْدَ العَقَبَةِ بِسِتَّةِ رِجَالٍ مِنْ يَثْرِبَ فَعَرَضَ عَلَيْهِم الرَّسُولُ ﷺ الإِسْلَامَ، وَتَلا عَلَيْهِم بَعْضَ آيَاتِ القُرْآنِ فَتَيَقَّنوا أَنَّهُ النَّبِىُّ الذِى تَتَحَدَّثُ اليَهُودُ عَنْ قُرْبِ ظُهُورِهِ .



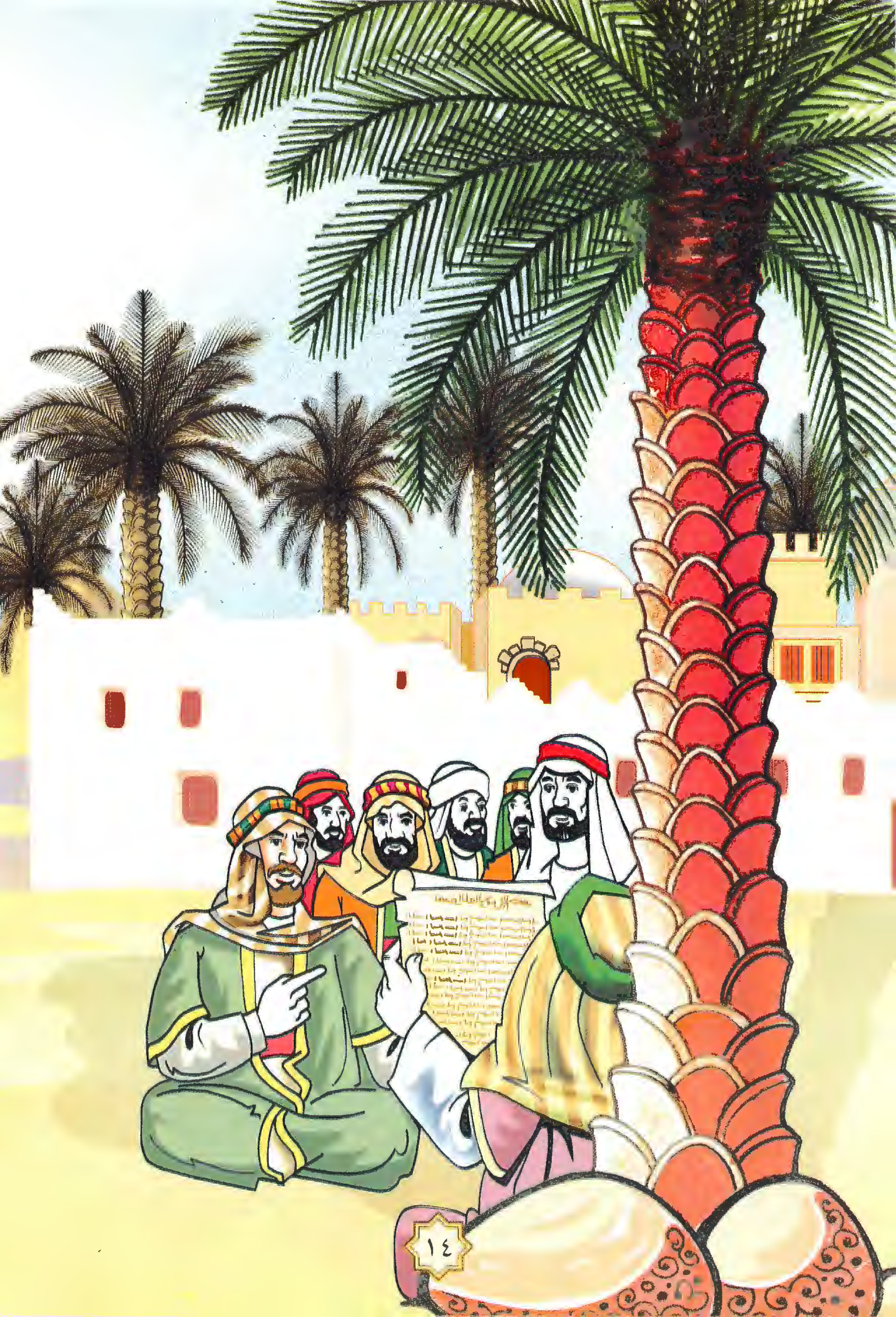


وَقَدْ شَرَحَ اللَّهُ صُدُورَ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ للإيمَانِ ، فَأَسْلَمُوا للَّهِ رَبِّ العَالمِينَ وآمَنُوا بِرَسُولِهِ الكَرِيمِ، ورَجَعوا إلى قَوْمِهِم يَدْعُونَهم للإسْلاَمِ، فَذَاعَ أمْرُ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إلاَّ وَيَتَحَدَّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَرِسَالَتِهِ .

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى

وَفِي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ العَامِ التَّالِي قَدِمَ إِلَى مَكَّةَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ والتَقَوا بالنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ العَقَبَةِ الأُولَى بِمِنًى وَبَايَعُوهُ عَلَى الطَّاعَةِ للَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَسُمِّيَتْ تِلْكَ البَيْعَةُ بِبَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى.





وَبَعْدَ انْتِهَاءِ مَوْسِمِ الحَجِّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ» مَعَ أَهْلِ يَثْرِبَ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُمْ أَحْكَامَ الدِّينِ، فَكَانَ «مُصْعَبٌ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خَيْرَ سَفِيرٍ لِلإِسْلَامِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ قُلُوبَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ فِيهَا إِلاَّ وَفِيهِ مُسْلِمٌ يُوَحِّدُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

وَفِي مَوْسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنَ النُّبُوَّةِ قَدِمَ إِلَى مَكَّةَ ثَلاَثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً وَامْرَأَتَانِ مِنْ مُسْلِمِي المَدِينَةِ، وَاتَّفَقُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ يُقَابِلُوهُ لَيْلاً عِنْدَ العَقَبَةِ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ المُشْرِكِينَ الذِينَ كَانُوا يَتَرَصَّدُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ.

ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى وَفْدِ يَثْرِبَ فِى المَوْعِدِ المُحَدَّدِ، فَاسْتَقْبَلُوهُ أَعْظَمَ اسْتِقْبَالٍ، ثُمَّ بَايَعُوهُ جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَحْمُوهُ وَيَنْصُرُوهُ وَيُدَافِعُوا عَنْهُ، كَمَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَمْوَالِهِم وَأَوْلاَدِهِم وَنِسَائِهِم، كَمَا بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ يُحَارِبُوا مَنْ حَارَبَهُ وَيُسَالِمُوا مَنْ سَالَمَهُ.



إنَّ خَيْرَ ما يقْرَؤُهُ أبْنَاؤُنا هُوَ السيِّرَةُ النَّبَوِيَّةُ التى تَقُصُّ عليهِمْ حياةَ خَيْرِ البَشَرِ وأكْمَلِ إنْسانٍ عاشَ على ظَهْرِ الأرْضِ. إذْ كَانَتْ حيَاتُهُ كُلُّهَا دِينًا ودُنْيا، عِلْمًا وَعَمَلاً، خُلُقًا وسلُوكًا، بُطُولَةً وكِفاحًا، رَحْمَةً وَعَدْلاً، عَفْوًا وسَماحَةً.

بَعَثَهُ اللهُ فى جزِيرَةِ العَرَبِ، فأَحْيَا أُمَّةً وأَقَامَ دَوْلَةً، وَرَبَّى رِجَالاً، فَأَنَارَ الدُّنْيَا وَنَشَرَ الإسْلامَ.

صدر منها:

6 222002 126821

سفير ١٥ شارع أحمد عرابي - المهندسين - ص. ب: ٤٢٥ الدقي - القاهرة ت: ٣٤٤٧١٧٣ فاكس: ٣٠٣٧١٤٠

E-Mail:Safeer@link.com.eg Web Site: www.safeer.com.eg